

## نافذة

غياب الثقافة  
تنازل عن الوطن

في مواضيع عديدة أشار كثيرون إلى أن المفصل الأخطر أهمية في حياة الأمم والبلدان هو المفصل التربوي والثقافي، وهذا الأمر حقيقة لا مراء فيها، مع أن العلميين ينظرون إلى المشكلة بأنها مشكلة علم، والقضاة ينظرون إليها على أنها أزمة قضاء، والاقتصاديين يرونها أزمة اقتصادية، وعلماء الاجتماع يحصرون الأمر في أنه مشكلة اجتماعية، وهكذا... ولكن المتعنين وهم الأكثر صوابية يرون الأزمة أزمة ثقافة وتربية، وهذه الرؤية هي الأكثر قرباً من الحقيقة، فالثقافة والتربية أساس، وبعدها ينطلق من أراد إلى الجوانب كافة، وخاصة أن الرؤية الأخرى تشكل اختصاص ما بعد التكوين، وإن كان ثمة من مشكلة في الجوانب القضائية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية، فهي نتيجة طبيعية لمعضلة استقبلت في التربية والثقافة وتصبح كل أنواع التغيير والإصلاح غير قادرة على معالجة، لأنها جزء أساسي من التكوين الذي بني على أساس غير قويم... واليوم في خضم تحليل ما أطلق عليه الربيع العربي أو الخريف العربي أو الحجوم العربي، وهو حجوم لا يمكن لأحد إنكاره، فأي ربيع هذا الذي يدمر ويشرد ويوجع ويغير مسلمات المجتمع؟ في خضم التحليل نسمع آراء لا يمكن أن ننكح أي مقوم من مقومات السلامة، لأنها وقبل كل شيء تخضع للتسييس، وتصدر عن آراء وأمنيات ليست دقيقة، ولا يمكن أن تكون قابلة للحياة؛ فلا ينظر اليوم إلى حالة من الفوضى ويهمل التاريخ المتراكم، ولا يقبل من أحدهم أن يتحدث عن تطرف وهو الذي تعامى وتجاهل كل أنواع التطرف ولم يعمل على علاجها؛ ولا يجوز لأحدهم أن يتحدث عن الاستبداد وهو جزء مكمل، والأخطر محمل لهذا الاستبداد؛ لا يمكن أن ينظر إلى ما يجري على الأرض العربية بمعزل عن التربية التي عادت مكانتها إلى الوراء، ولم تعد أولوية في مناهجها ولا مكان مظم، فلم تعد تجد أي نوع من الاهتمام، بل وقد عملت جهات مسؤولة على تزييم دور الثقافة والمثقف وسخرت منه، وأعلته حين أعلته فئات ما يزيد عن رصاصة وما شابه ذلك، وعندما يتباهى عدد من المعنيين بأن وزارة الثقافة هي وزارة دفاع سخر منهم الناس، وهم يستحقون ذلك، لأنهم يستعملون تعبيراً نبيلاً وصحيحاً، ولكن لم يعملوا عليه على الإطلاق، وفي أثناء تسلمهم مقاليد الثقافة، وسعوا الهوة بين المثقف والثقافة، وهذا أخطر مما قبل عندما كانت الثقافة في غربة عن المجتمع!

كنت أتمنى من بداية الأزمة، ومما قبل أن ينبري أحدهم لجمع أقوال المعنيين بالثقافة والمثقفين، لأخذ ما يمكن الأخذ به، وربما تكون الغاية اللائحة تحديد الركائز الفكرية لهذا المثقف أو ذاك، وخاصة أن بعض هؤلاء لا يتجاوز أن يكون باحثاً أكاديمياً لفائدة نفسه واسمه، وأسبغ على نفسه عندما المفكر والرائد وما شابه، أو أسبغ عليه مريده، ونصفا نستعرض هذه الآراء، وأسأبتعد عن الأسماء، وسيسرفها القارئ الكريم، سنكتشف أننا في ثقافتنا نفتقد ذاك المثقف الذي يستحق أن يحمل لقب المفكر، هذا المثقف الذي لا تميل به الأهواء والآراء، والذي لا يتغيره الظروف والعواصف، ويمكن أن يقف مع الحق الذي يراه فكرياً، وإن تعارض مع مصالحه، ولا يمكن أن يخرج عن قناعاته الفكرية، لأنه يمثل رمزاً للمعرفة والفكر وحرية الرأي ونزاهته... وستكتشف وهذا أكثر إيلاماً أن جل ما يصدر عن نسيج عليهم صفات الثقافة والفكر والتحليل والتأمل لا يعود أن يكون وقت ارتجالية طارئة، تغيير بتغير الموقف والمنبر، وكل ما يحيط به، فهو حاطب ليل يجمع شذرات من الشوارد التي تنهمر عليه، فهذا باحث في لحظة ما من زمن الدعة الجميل يقو عن أسباب التخلف المعرفي «افتقار الحكومات إلى الوعي بأهمية المعرفة في المجالات العلمية والفلسفية والاجتماعية لدى مجال آخر، ليس هناك أي قدر من المعرفة الحديثة التي السلطات العربية الحاكمة، ولا تزي هذه في الجامعات ومراكز البحث جهات منتجة للمعرفة من الضروري أن تكون على صلة بها وتماس دائم معها، بما أن هذه السلطات تدير بلدانها دون معرفة علمية ومنهجية بأحوالها، لأنها لا تترك لأهمية المعرفة ولا تشجع بالبحر إليها، وتحتج عن تطوير مؤسساتها خشية أن يسهم إنتاج المعرفة في تقويض الأمر القائم أو «إضعافه» اقتبس هذا النص بحرفه لهذا الباحث لأكثر من سبع، ومن أهم الأسباب أنه يتناغم مع الرؤية العقيمة لدور الثقافة والمأسسة الثقافية والعلمية والبحثية، فهو يضع يده على نقاط غايية في الأهمية، ولأن الكاتب يشير بإصبع الاتهام إلى السلطات العربية في حرصها على تعويم ثقافة الجهل، وعلى إهمال البحث ومراكزه، والجامعات وديورها، وهذا حقيقة وكنت أتمنى أن يبقى هذا التيار العلمي المعرفي قادراً على توجيه الأنظار إلى أسباب التردى المعرفي، لأن الرقي المعرفي سيؤدي حتماً إلى تقويض الاستبداد أو التخفيف منه؛ لكن هذا الكاتب في أثناء الربيع العربي تلمى بسلطات يراها مستبدية ومتخلفة، وتخل عن دور البحث ومراكز البحث، وأعلن أنه لا يعنيه الدمار ومقداره، وإنما الذي يعنيه تغيير الأنظمة، وفي كل مرة يتحدث فيها تنازل أسهمه نزولاً مخيفاً، لنتبين أنه باحث وقارئ، يجمع ما تجود به قرائح الباحثين ويعمل على تكيفها حتى يبدو للأخر أنها من صنعه هو!!

هؤلاء الذين ظهر مقدار تناقضهم مع طروحاتهم وممارساتهم كثر، وآراؤهم ميثوتة في وسائل الإعلام المؤرشفة، وفي الكتب والدراسات، فهل انبري أحدهم لإظهار هذا الفصل الصعب؟ وهل أدرك أغلبنا أن المعضلة الحقيقية هي معضلة ثقافة وتربية قبل أن تكون معضلة سياسة وتطرف وعنف؟ وهل نعتزف بأن تخلي الحكومات العربية عن الدور الثقافي والفني أدى إلى وجود هذا الخلل، وتفرغ القنوات الأخرى التي ينهل منها شبابنا؟ إن التظهير قد يستقطب بعض جمهور، ولكنه لا يصنع وطناً؛ وحتى الجمهور الذي يستقطبه لا يلبث أن ينفض عنه لأنه يكشف الوهن في التظهير، والهوة الفاصلة بين تظهير وممارسة؛ هل يستوي أي يدعو أحدها لبناء بلده، وفي الوقت نفسه يفرح بدمارها انتقاماً من أحد كان يظلم في ظله قبل الانقلاب؟! لا شك في أن أهمية الفكر تكون في ثباته على مرتكزات لا تتغير بتغير الظروف والأزمنة، وهذا ما كان من المفترض أن تؤديه القنوات الثقافية الحكومية خاصة.. ولكن عندما تنازلت الثقافة عن دورها المعرفي تماهت الصور، وصار كل يهلون مفكراً!!

## إسماعيل مروة

## سوسن صيداوي

شجرة الحياة مليئة بالأوراق التي تنمو بأعمارنا وتساغر في حياتنا، كي تسقط بعدما يصعب على شريان الحياة أن يجد إليها سبيلاً، وهكذا يسقط الورقة الخاصة بنا، فهذا يعني أن حياتنا انتهت، هذا أمر طبيعي في ستة الحياة وفي قانونها الذي لا يمكن ولا حتى التفكير في طريقة تغييرها أو نقضها، فلعل البداية كانت بسقوط ورقة حياة الشاعر المصري فاروق شوشة عن عمر يناهز ثمانين عاماً، غادر حياتنا بعد أن أغناها بطيب الكلمة العربية الجميلة، وبأعاب شعور غلغ غلغ تصانده التي وصلت إلى قلوب الملايين الذين حذوا حذو كلماته الراقية، مقتديين به لكونه عراباً للثقافة الحقيقية، في وقت ساد فيه زيف الثقافة وأصبح الأكثر انتشاراً، فاروق شوشة اختار أن يكون فارس اللغة العربية، مساهماً بميراثه الفكري في إغناء الحياة والإعلام الثقافي في مصر على الخصوص والوطن العربي على العموم، ناشراً عبر موجاته الصوتية التي أضاءت في قلوب الملايين فراغ سنين، مذكراً من خلالنا عن حب دفين طافيا في أحلام رغبة لا يمكن للعيون أن تتجاهلها مهما بلغت من الغفوة؛ سأذكر بارقة من حينين

## مولده ونشأته

ولد فاروق شوشة عام ١٩٣٦ في قرية الشعراء في محافظة دمياط، وكان نجلاً لرجل من رجال التعليم، وابتاً لشاعر قدير اختار أن يسمي كل أبنائه بحرف الفاء، أكبرهم كان فاروق ثم فخري، فيصل، فؤاد، فيكتوريا، فريدة، فريل، فواز، وفاتن. حفظ فاروق القرآن منذ نعومة أظفاره، الأمر الذي أدخل اللغة العربية إلى قلبه محتلةً مكاناً مهماً، أتم دراسته في دمياط وتخرج في كلية دار العلوم عام ١٩٥٦، وفي كلية التربية جامعة عين شمس عام ١٩٥٧. عاش «عندليب اللغة» فاروق شوشة، حسب وصف الإعلامي يسري فودة، في محراب الشعر ثمانين عاماً، قضاها مغزلاً للغة العربية ومهدماً لحروف أجدبها غازلاً منها الكثير من القصائد المشابهة لقبه الهادئ:

## في الإذاعة والتلفزيون والإعلام

رفض الشاعر أن يكون سجين قاعة تدريس ضيقة، يجلس فيها طوال النهار كي يلقت طلابه معلومات عن الصرف والنحو، وموقفه هذا لأنه كان مؤمناً بأن رسالته لا يمكن لحدود قاعات جامعية من أن تحدها، لهذا التحق بالإذاعة في عام ١٩٥٨ كمصحح لغوي، إلى أن تبادء إذاعياً في ذلك الوقت عبد الحميد الحديدي مدير الإذاعة المصرية، وزوجه من ابنته الإذاعية هالة الحديدي، التي أنجب منها ابنتان «يارا ووردة». وكان اتخذ «ابن دمياط» من الإذاعة بوابة دخول حقيقية إلى قلوب وآذان الجماهير الذين اختاروا أن يكونوا أسيري اللغة العربية طواعية، عبر صوته العذب وأشعاره المميّزة، مقدماً عدداً من البرامج أبرزها «لغتنا الجميلة»، بعدها أخذ يتدرج في وظائف الإذاعة حتى أصبح رئيساً لها في عام ١٩٩٤. وكان

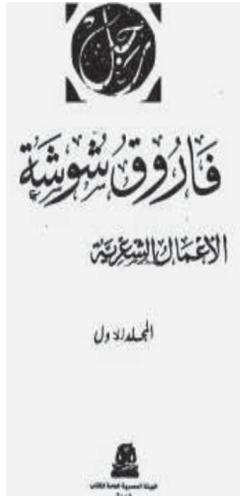
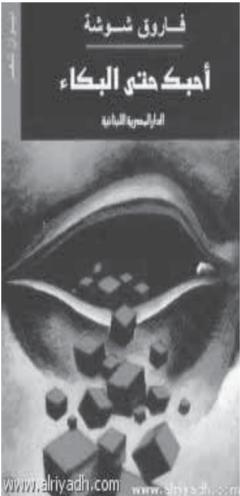
## الوطن

صدر عن اتحاد الكتاب العرب سلسلة الشعر الثالثة «ورميت نرجسة عليك»، للشاعر ثائر زين الدين بواقع مئة وثلاث وسبعين صفحة، محتضنة سبعة وثلاثين قصيدة متفاوتة الطول، ومنها تحت عنوان مفارقات جاء بها الشاعر إهداء لروح ميخائيل نعيمة، على أربعة أجزاء حملت كل منها عنواناً، الجزء الأول «العشق والثاني صغيران والثالث حطبة والرابع على سفر، وكذلك جاء في السلسلة وتحت عنوان مصابيح خمسة أجزاء منها مصباح بيكاسوغورنيكاو، مصباح فان كوخ وأكلو البطاطا، بالإضافة إلى الأجزاء الثلاثة الباقية.

كانت المفردات متنوعة بين الحب والشجن وبين العتب والسأم وبين الإغواء والعشق، والبساطة في السرد كانت سهلة وسلسلة والمتناول، ففي قصيدة «عتب» جاءت المشاعر واضحة وصریحة ومختصرة حيث يقول الشاعر ثائر زين الدين: الظلمة انتشرت على الطرقات غطت مدخل البيت الغناء عريشة ومقاعد منسية. الظلمة انتشرت؛ لذا لا يشق جدارها أحد ويطلق باب قلبي؟

## شاعر «أحلى عشرين قصيدة حب» رحل بحب

## فاروق شوشة «عندليب اللغة»... يغادر محراب الشعر بعد ثمانين عاماً من عشق العربية



صانعو النور وكاشفو الظلم وأنهم -دونهم- لا تصلح الدنيا ولا تآخر الأمم ولا يعاد خلق الكون كله من العدم! لكنهم خدم من العدم! إذا تحركوا في كل موقع صنم يكبرون أو يهللون حوله، يسبحون باسمه، ويسجدون، يسجدون، يرکعون يعنون في رياء زائف وفي ولاء متهم وفي قلوبهم... أمراض هذا العصر من هشاشة ومن وضاعة ومن صغار في التدني واختلاط في القيم!

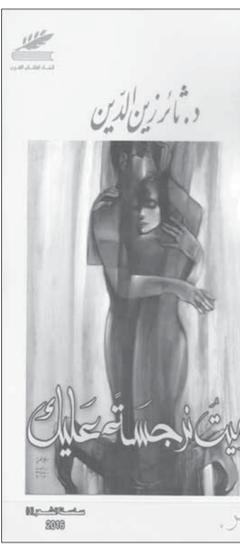
## جوائز وتكريمات

نجح الشاعر الراحل قبل بضعة أشهر، في اقتناص «جائزة النيل للآداب»، أكبر جائزة مصرية، من بين أنياب جابر عصفور، الذي بدأ منافساً وحيداً لا يقاوم وسط حشود تعج بها وزارة الثقافة المصرية، وخصوصاً أن شوشة قبل أن يكون شاعراً ذائع الصيت، هو إعلامي كبير قدم عدداً من البرامج الثقافية في العمق الناقد في الإذاعة والتلفزيون، وكان قال لـ«الأهرام» في حوار بعد الجائزة: «إن الوطن لا ينسى من فيه من المبدعين على الرغم من اشتغاله في قضاياها، وهي أيضاً لحظة فارقة في تحديد من هم الأصدقاء الحقيقيون ومن يظهره الأصدقاء، إنها لحظة مراجعة للنفس ومحطة لابد من التوقف عندها والسؤال ماذا صنعت، وماذا أنجزت من المشروع الذي صنعتة لحياتي في بداية المشوار الثقافي»، هذا وقد حصل على جائزة الدولة التقديرية في الشعر ١٩٨٦، وجائزة محمد حسن الفقي ١٩٩٤، وجائزة الدولة التقديرية في الآداب ١٩٩٧.

## شهادات محبة

عبر الشاعر الكبير محمد إبراهيم أبو ستة عن حزنه الشديد لرحيل الشاعر فاروق شوشة، وقال: «أنا تعيس جداً وفي غاية الحزن لرحيل أعز أصدقائي طوال ٥٠ عاماً، ضيقاً من شاء بعدك فليمت... فقلبك كنت أحاضر».

## «ورميت نرجسة عليك» تجربة شعرية فيما مفارقات ومصابيح



ومن السلسلة وتحت عنوان مفارقات وتحت عنوان «عشق» شكا الشاعر حال العشق من الولع والوجد والإشتياق النابض الذي لا يمكن لنشيء في الدنيا أن يغيبه أو يحد منه، ولن يتمكن منه إلا الغناء، حيث يقول: فلماذا أيها الحب - يا ماكر كالخمره يا خادع كالجر لا عبق الواحد منا لا يرويه ولا يشبعه إلا الغناء! من جانب آخر من بين أجزاء مفارقات، وفي سعي للبحث عن الذات كان هناك الاكتشاف في قصيدة «حطبة»: أنا كلمة في فؤادك يارب كتمت في كرامتي ما هي ذي تتلاشى وقد همت الشفتان بهمس أنا حطبة لست أعرف ذاتي إلا إذا التهمتني نار أحنيتها في قرارة نفسي! ومن ضرورة الحب والتحدى رغم كل ما هو موجود

فنبقى كما كنا نكون وانتم قريب وإذ ما تبدلت زهيد هذا ويعتبر الشاعر الكبير فاروق شوشة أحد أبرز شعراء الوطن العربي، فهو من قال الشعر بعد الشاعر صلاح عبد الصبور، وكان له العديد من الإسهامات الثقافية، وكانت قصيدته الأولى والأخيرة الإعلام الثقافي، وتميزت بتصوئه بينائها المحكم ومباشرتها وأينيتها ذات الطابع الكلاسيكي، وربما كان شوشة بين أكثر الشعراء العرب الذين تعاملوا ببساطة فاعلمت فارس جميل يطل على جمهوره من فوق صوت جياحه الشعرية، متقلداً بينها في فتوة وخفة ورشاقة على فنون الفروسية، أما شيخ المحافظين الراحل عبداللطيف عبدالحليم «أبو همام» فقد رأى أن الثقافة الأصلية لفاروق شوشة وعمقه الصحفي في الشعر العربي في نماذجه العليا، كانا وراء الكثير من شاعرينا البادخة، وهنا نذكر مقطعاً من قصيدة أنا إليك:

## أعمال ومشاركات

ظلت حماية اللغة العربية الهاجس الأكبر للشاعر فاروق شوشة الذي عمل أستاذاً للآداب العربي في الجامعة الأميركية في القاهرة، وعضواً في مجمع اللغة العربية في مصر، وعضو لجنة الشعر في المجلس الأعلى للثقافة، ورئيس لجنة المؤلفين والمحلين، ورئيس لجنة النصوص في الإذاعة والتلفزيون، باحث في منصب رئيس اتحاد الكتاب المصريين، وكان عضواً في مجلس أمناء بيت الشعر في القاهرة، وعضواً في لجنة الشعر في المجلس الأعلى المصري للثقافة.

## في الشعر

ينتمي الشاعر فاروق شوشة إلى جيل الستينيات في مصر، ويعتبره الكثير من النقاد والشعراء بأنه من الشعراء الذين اتسموا بالولاء لقيم قديمة، ومثل مع شعراء آخرين من أبناء جيله، ومن الجيل الذي سبقه، ما يشبه حافظاً كان متماسكاً وصاداً بمواجهة التجديد الذي تجسد وخصوصاً عبر تيار قصيدة النثر. وكان دائماً شوشة وبحسب رواد الشعر وصنّاعه، بل يكن الشعر عنده ساحة شعرية جميلة يظهر فيها عراقة اللغة العربية وجمالها فقط، بل رأى فيه «علاجاً»، حتى إنه راح يبحث عما يؤكد تلك الرؤية في الشعر العربي، منذ امرئ القيس، وحتى صلاح عبد الصبور، ومن هنا جاء كتابه «العلاج بالشعر»، وفيه قال شوشة عن جميل بقية «تتعرف في شعره إلى أرقى نماذج الحب العذري وأصفاها وأصدقها وتراً وأشدها حرارة، وشعره يمتلئ بشكواي النفس وما يلاقيه الحب المقيم من تبايع الوجد... ألا ليت ريعان الشباب جديد ودهرًا تولى يا بئس يعود

ومن روايتهم نفسية واجتماعية تصارع الحب وتحاول لجمه، بقي الشاعر ملوحاً وماندياً بضرورة الحب والوجد والإشتياق النابض الذي لا يمكن لنشيء في الدنيا أن يغيبه أو يحد منه، ولن يتمكن منه إلا الغناء، حيث يقول: فلماذا أيها الحب - يا ماكر كالخمره يا خادع كالجر لا عبق الواحد منا لا يرويه ولا يشبعه إلا الغناء! من جانب آخر من بين أجزاء مفارقات، وفي سعي للبحث عن الذات كان هناك الاكتشاف في قصيدة «حطبة»: أنا كلمة في فؤادك يارب كتمت في كرامتي ما هي ذي تتلاشى وقد همت الشفتان بهمس أنا حطبة لست أعرف ذاتي إلا إذا التهمتني نار أحنيتها في قرارة نفسي! ومن ضرورة الحب والتحدى رغم كل ما هو موجود

## داووين ومؤلفات

في عام ١٩٦٦ نشر شوشة أول دواوينه الشعرية، الذي حمل عنوان «إلى مسافة»، والذي مثل طريقة مدوية على باب الشعر، ثم قدم عدداً من الدواوين الشعرية التي خلدت اسمه بين الأدباء والشعراء ومن بينهم: ديوان «العيون المحترقة» في العام ١٩٧٢، «لؤلؤة في القلب» ١٩٧٣، «في انتظار ما لا يجيء» ١٩٧٩، «الدائرة المحكمة» ١٩٨٣، «الأعمال الشعرية» ١٩٨٥، «لغة من دم العاشقين» ١٩٨٦، «يقول الدم العربي» ١٩٨٨، «جنتك» ١٩٩٢.

ومن ديوان أحبك حتى البكاء القصيدة التي حملت نفس العنوان وكان قال فيها: أحبك حتى البكاء وأعلم أن الذي بيننا ليس نزواً ولا هو محض اشتهاه ولكن معناه فيك، ومنك وفي لحظة جمعت تاهنين على رقرق من خيوط السديم فكان الجذب وكان ارتواء من مؤلفاته أيضاً: «لغتنا الجميلة»، «أحلى ٢٠ قصيدة حب في الشعر العربي»، «أحلى ٢٠ قصيدة في الحب»، «العلاج بالشعر»، «لغتنا الجميلة ومشكلات المعاصرة»، «مواجهة ثقافية»، «عذابا العمر الجميل» (سيرة شعرية).

## وجهة نظر في المثقفين

لم يكن شوشة راضياً عن الوضع الثقافي المصري الحالي، وهذا ما تجلّى في قصيدة «خدم...» التي ألفها العام الماضي خلال تكميم ضمن فعاليات معرض الشارقة للكتاب في دورته الثالثة، وهاجم فيها المثقفين ووصفهم بـ«خدم الكمام»، إلا أنه أوضح في تصريحات صحفية أنه كتب تلك القصيدة قبل عشرين عاماً، وأن تعبيرها عن المشهد الحالي يعد من قبيل نهضة ثقافية، وقال في السياق ذاته: «تجديد الخطاب الديني يعني تجديد العقل، ليس هناك شيء مجرد اسمه الخطاب، الخطاب هو ما يتوجه به العقل إلى الآخرين، إذا كنت أنا جاهلاً فسكون خطابي خطاب جهل...»

وسأعاً وقال فيها: خدم... خدم... وإن تباهاو أنهم أهل الكتاب والقلم وأنهم في حلقة الليل البهيم